

كيف تجسست واشنطن وبرلين على 120 دولة

التجسس على الحلفاء والأعداء عبر شركة «كريبنتو أي جي» لتشفير الاتصالات



عين مخابراتية على العديد من الدول

بادراك تاريخ ملكية وكالة المخابرات المركزية. وقال أندرياس ليندي، وهو مدير الشركة التي أصبحت تمتلك حقوق منتجات وخدمات شركة كريبنتو أي جي الدولية، إنه لم يكن مطلعاً على علاقة الشركة بوكالة المخابرات المركزية ودائرة الاستخبارات الاتحادية الألمانية قبل مواجهته بالحقائق الواردة في هذا المقال. وأضاف "لم تجمعنا أي علاقة مع وكالة المخابرات المركزية أو دائرة الاستخبارات الاتحادية الألمانية. إذا كان ما نقوله صحيحاً، فانا أشعر بالخيانة تماماً، وسيشعر الكثير من الموظفين والزبائن بالخيانة". وتواصل أكثر من 12 دولة حول العالم الاعتماد على منتجات شركة كريبنتو أي جي. بعد تحقيق واشنطن بوست، الغي المسؤولون السويسريون رخصة تصدير شركة كريبنتو أي جي الدولية. وأعلنت الحكومة السويسرية أنها ستجري تحقيقاً، لكن ذلك لن يحد من المراقبين الشكوك التي أثرت خاصة وأن وثائق وكالة المخابرات المركزية ودائرة الاستخبارات الاتحادية الألمانية تشير إلى دراية المسؤولين السويسريين بعلاقات شركة كريبنتو أي جي مع وكالات التجسس الأمريكية والألمانية لعقود، لكنهم لم يتدخلوا إلا بعد أن علموا بعمل المؤسسات الإخبارية على الكشف عن هذا السر.



غريغ ميلر

لغفود من الزمن، اطلعت وكالة المخابرات المركزية على الاتصالات المشفرة التابعة للحلفاء والخصوم

وعلمت بي.بي.سي على الموقف السويسري قائلة إن "الحيادية ليست منارة مشرقة من الأمل في قلب أوروبا. لكنها بالأحرى تكتيك للبقاء على المستوى البراغماتي وتكتيك من أجل البقاء في قارة ذات تاريخ سيء. وأحياناً، كما هو الحال مع كريبنتو أي جي، تؤدي تلك البراغماتية، جنباً إلى جنب مع الرغبة في رؤية خرافات الحيا بدلا من الواقع، إلى اتخاذ بعض القرارات المشكوك فيها".

تمّ تمريرها إلى لندن. وتناقش الوثائق المعلومات الاستخباراتية المجمعة من العملية بعبارات عامة ولا تفضل كيفية استخدامها.

عزّض ريغان عملية التشفير للخطر بعد أن تورط لبيبون في تفجير ملهى ليلي في برلين الغربية سنة 1986. وكان المهلن المستهدف مشهوراً بارتداد القوات الأمريكية المتمركزة في ألمانيا الغربية له. وقتل جنديان أميركيان وامرأة تركية نتيجة الهجوم. أمر ريغان بتوجيه ضربات انتقامية ضد ليبيا بعد 10 أيام من وقوع الحادث. وكانت إحدى بنات القذافي من بين الضحايا الذين كُشف عنهم. وفي خطاب القاه ليعن عن الضربات، قال ريغان إن الولايات المتحدة تحضلت على دليل "مباشر، ودقيق، ولا يمكن دحضه" على تورط ليبيا في التفجير.

وأشار إلى أن الأدلة أكدت على تلقي السفارة الليبية في برلين الشرقية لأوامر بتنفيذ الهجوم قبل أسبوع من وقوعه. وبعد يوم من التفجير، "أبلغت طرابلس عن نجاح المهمة". وأكدت كلمات ريغان اعتراضات اتصالات طرابلس بسفارتها في برلين الشرقية وفد تشفيرها. لكن، لم تكن ليبيا الحكومة الوحيدة التي تفتتت إلى الأدلة التي قدمها الرئيس الأمريكي. أدركت إيران، التي عرفت أن ليبيا تستخدم آلات التشفير الخاصة بشركة كريبنتو أي جي، الأمر. وأصبحت تشعر بالقلق من معداتها. ولم تتخذ طهران أي إجراء لمعالجة هذه الشكوك إلا بعد ست سنوات، حين اعترضت وكالات التجسس الأمريكية أكثر من 19 ألف رسالة إيرانية موجّهة من خلال أجهزة التشفير أثناء الحرب مع العراق، وبعد أن تمكنت الاطراف الأمريكية من إعداد تقارير حول صلات طهران الإرهابية ومحاولات استهداف المنشقين.

في سنة 1992، واجهت عملية كريبنتو أي جي أول أزماتها الكبرى عند احتجاز إيران لمندوب مبيعات استناداً إلى شكوكها في الشركة. كان المحتجز، هانز بويهلر، من أفضل مندوبي مبيعات الشركة التي كانت إيران واحدة من أكبر المتعاقدين معها. وحسب الوثائق، أطلق سراح بويهلر بعد تسعة أشهر نتيجة لموافقة شركة كريبنتو أي جي على دفع مبلغ مليون دولار للإيرانيين.

ويشير التحقيق إلى أن بويهلر لم يكن يعلم بعلاقة شركة كريبنتو أي جي بوكالة المخابرات المركزية الألمانية ودائرة الاستخبارات الاتحادية الألمانية أو الغفراء في الأجهزة. وعاد مصاباً بصدمة نفسية، حيث شك في أن إيران كانت تعلم أكثر منه بشأن الشركة التي كان يعمل لصالحها.

بعد تجزئة الشركة في سنة 2018، وتصفيتها من قبل المساهمين الذين كانت هوياتهم محمية بموجب قوانين لبحثتسناين. اشترت شركتان معظم أصول شركة كريبنتو أي جي. أصرت كل واحدة منهما على أنها لا تتعامل مع أي جهاز استخبارات. لكن، أقرت واحدة

توريث الشركة لابنه بو. لكن مسؤولي المخابرات الأمريكية لم يكونوا يتقنون به، مما جعلهم يحرصون على إخفاء الشراكة عنه.

تعتبر شركة كريبنتو أي جي رائدة في إنتاج الأجهزة المستخدمة في تشفير الاتصالات السرية، وبفضل أجهزة التشفير المتلاعب بها، استطاعت المخابرات الأمريكية والألمانية الاطلاع على مراسلات سرية

توفّي هاجلين في حادث سيارة في مدينة بيلتواي بواشنطن في سنة 1970. لكن، في تلك الفترة كانت الشركة قد أصبحت في أمان. ووفق ما جاء في التحقيق، عقد في سنة 1969 اجتماع في سفارة ألمانيا الغربية في واشنطن، عرض خلاله رئيس دائرة التشفير، قبلهلم جوينغ، تقاسم شراء شركة كريبنتو أي جي بين ألمانيا الغربية والولايات المتحدة.

من ليبيا إلى إيران

تمحور نظام إمبراطورية التصنت حول ثلاثة أهداف جغرافية رئيسية. أسندت رمزاً لكل واحدة منها: الهدف "أ" للإشارة إلى السوفييت، و"ب" إلى آسيا، و"ج" إلى بقية دول العالم. وبحلول أوائل الثمانينات، كانت أكثر من نصف المعلومات الاستخباراتية التي جمعت من المجموعة "ج" تتدفق عبر الات التشفير الخاصة والتابعة لشركة كريبنتو أي جي، التي مكّنت المسؤولين الأميركيين من التعامل مع الأزمات المتعاقبة.

ويذكر التحقيق كمثال، اجتماع قادة مصر وإسرائيل والولايات المتحدة في كامب ديفيد، في سنة 1978، للتفاوض على اتفاق سلام، لافتاً إلى أن وكالة الأمن القومي كانت، في ذلك الوقت تراقب اتصالات الرئيس المصري أنور السادات مع القاهرة سرا. بعد ذلك بسنة، وبعد أن اقتحم مسلحون إيرانيون السفارة الأمريكية واحتجزوا 52 رهينة، سعت إدارة جيمي كارتر إلى إطلاق سراحهم اعتماداً على اتصالات عبر قنوات اتصال خفية مرّت عبر الجزائر.

وفي سنة 1982، استنفادت إدارة رونالد ريغان من اعتماد الأرجنتين على معدات التشفير الخاصة بشركة كريبنتو أي جي، فنقلت المعلومات الاستخباراتية إلى بريطانيا خلال الحرب التي اندلعت بين البلدين حول جزر فوكلاند. وأثبت سجل وكالة المخابرات المركزية هذه المعطيات، دون أن يقدم أي تفاصيل عن نوع المعلومات التي

مع وكالات المخابرات الأمريكية. وقد سهّلت معالجة شركة كريبنتو أي جي لخوارزميات المراسلات كسر الشفرة، واختصرت مهمة كانت تستغرق أشهراً. وكانت الشركة تصنع نسختين من منتجاتها على الأقل: نماذج أمانة يتم بيعها إلى الحكومات الصديقة، وأنظمة معدلة لبقية العالم.

راقب الأميركيون الإيرانيين خلال أزمة الرهائن في 1979، وقدموا معلومات استخباراتية عن الجيش الأرجنتيني إلى بريطانيا خلال حرب جزر فوكلاند، وتتبعوا خطط اغتيال مسؤولين من أميركا الجنوبية، وقبضوا على المسؤولين اللبيين بعد الحصول على دليل يثبت تورط ليبيا في اعتداء استهدف ملهى ليلي في برلين الغربية في 1986.

وعرفت العملية باسم "تيزوروس" ثم "روبيكون"، ويصفها تحقيق واشنطن بوست بأنها واحدة من بين أكثر العمليات جراً في تاريخ وكالة المخابرات المركزية. وقد كانت الحكومات الأجنبية تدفع أموالاً طائلة للولايات المتحدة وألمانيا من أجل التمتع بامتيازات تساعدها على الحفاظ على ما تريد كتمانها مخفياً، مقدّمة معظم اتصالاتها السرية على طبق من ذهب إلى مخابرات دولتين أجنبيتين على الأقل (وربما خمس أو ست دول). لكن، كان خصماً الولايات المتحدة الرئيسيان، الصين والاتحاد السوفييتي، بعيدين عن

أعينها وأجهزة شركة كريبنتو أي جي. كانت لدى السوفييت والصينيين شكوك حول علاقات الشركة مع الغرب كغاية بجمائيتهم من العملية.

في منتصف الستينات، شهدت وكالة المخابرات الأمريكية ووكالة الأمن القومي ازدهاراً جديداً، لكن كان هاجلين على عتبة الثمانين عاماً. وكان راغباً في

منذ الحرب الباردة إلى عام 2000، باعت شركة كريبنتو أي جي السويسرية أجهزة تشفير لأكثر من 120 حكومة في جميع أنحاء العالم. لم يكن زبائن الشركة يعلمون أنهم مخترقون إلا الأسبوع الماضي بعد أن نشرت صحيفة واشنطن بوست تحقيقاً استقصائياً كشف أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي.آي.أي) ودائرة الاستخبارات الاتحادية الألمانية (بي.أن.دي) قامتتا بتزوير الأجهزة لتمكنا من فك شفراتها والاطلاع على مضمون الرسائل.

واشنطن - هزت فضيحة تجسس كشفت عنها صحيفة واشنطن بوست صورة الدولة الحيادية المسالمة التي عرفت بها سويسرا. وقد سارعت الحكومة السويسرية إلى فتح تحقيق للبت في حقيقة ما تحدثت عنه الصحيفة الأمريكية من أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي.آي.أي) ودائرة الاستخبارات الاتحادية الألمانية (بي.أن.دي) تجسستا مدى عقود على حوالي 120 دولة عن طريق أجهزة تشفير تبعتها شركة كريبنتو أي جي السويسرية.

عملية إنكار

وكشف التقرير الاستخباراتي الذي أعدته واشنطن بوست بالتعاون مع التلفزيون الألماني زد.دي.اف ومحطة الإذاعة والتلفزيون السويسرية أس.آر. أف، أن وكالات الاستخبارات الأمريكية والإلمانية استخدمت على مدى سنوات تجهيزات تابعة لشركة كريبنتو أي جي السويسرية متخصصة في تشفير الاتصالات، كانتا تملكها سرا، للتجسس على أكثر من مئة بلد عدو وحليف.

وقدم معد التحقيق غريغ ميلر تفاصيل مثيرة حول حقيقة هذه الشركة والأدوار التي لعبتها خاصة بين الستينات وواخر الثمانينات، مستندا إلى شهادات ومقابلات مع مسؤولي مخابرات حاليين وسابقين ومع موظفي شركة كريبنتو أي جي. وأشار ميلر إلى أن وكالات المخابرات حرصت على الاحتفاظ بالتفاصيل التي توفّق العملية سرا بأكملها، رغم أن السرية ترفع بمرور الوقت عن ملفات الاستخبارات الحساسة لتصبح متاحة للجميع.

وقال ميلر إن "واشنطن بوست تمكنت من قراءة جميع الوثائق". لكن، أصر مصدر المادة على نشر المقطعات فقط، لافتاً إلى أن كريبنتو أي جي حصلت على عقدها الأول لبناء آلات للرسائل المشفرة لصالح القوات الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب الباردة، أصبحت صناعتها مهيمناً لأجهزة التشفير. وشملت قائمة زبائن الشركة، التي كانت في الثمانينات مسؤولة عن حوالي 40 في المئة من عمليات المراسلات الدبلوماسية بين الحكومات الأجنبية.

وكتب ميلر قائلاً "خلال الثمانينات، أصبحت قائمة زبائن شركة كريبنتو أي جي البارزين مطابقة لقائمة مواقع التوتّر العالمية. ففي سنة 1981، كانت المملكة العربية السعودية من أكبر زبائن الشركة، وتليها إيران ثم إيطاليا واندونيسيا والعراق وليبيا والأردن وكوريا الجنوبية". وبين أنه منذ الحرب الباردة إلى عام 2000، باعت الشركة أجهزة تشفير لأكثر من 120 حكومة في جميع أنحاء العالم. وتفتتت أجهزة الاستخبارات الفرنسية والألمانية الغربية وغيرها من أجهزة الاستخبارات الأوروبية، عن علاقة الولايات المتحدة

كان السوفييت والصينيون يستخدمون أنظمة صنع الكوادز الرمجية التي كانت غير قابلة للاختراق. أدى ذلك إلى شعور وكالات التجسس الأمريكية بالقلق مما قد يحدث إذا استطاعت الدول شراء أجهزة أمانة من هاجلين. هنا، استعانت الولايات المتحدة بصدق هاجلين وويليام فريدمان.

يعرّف ميلر فريدمان بأنه "أب التشفير الأمريكي". وقد جمعت صداقة عميقة بهاجلين لخلفياتهما ومصالحهما المشتركة، بما في ذلك تراثهما الروسي واهتمامهما بتعقيدات التشفير. واجتمع هذان الرجلان مع المخابرات الأمريكية خلال عشاء في نادي كوزموس في واشنطن سنة 1951، انتهى بعقد صفقة تاريخية.

فرضت الصفقة على هاجلين، الذي نقل شركته إلى سويسرا، بيع منتجاته لدول تحدها الولايات المتحدة، وإرسال أنظمة أقدم وأضعف إلى الدول غير المدرجة على تلك القائمة. وسن الاتفاق على تعويض هاجلين عما فقده من مبيعات بما قيمته 700 ألف دولار مقدماً.

التزم هاجلين بالاتفاق. وعلى مدى العدين التاليين، تعمقت علاقته السرية



كل شيء أصبح محل شك